

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: ولا زال العلم والعالم يكافح ويناضل لتخفيف لأوائه والبحث عن علاجه ، فما أحوج الخلق إلى رحمة الله ومعونته وتوفيقه. والشك في الحكمة الربانية والقدر الإلهية راجع إلى جهل وغرور وقصور في التفكير؛ لأن الحكمة الربانية لا تقاس بقوانين المخلوقات فأفعال الباري عز وجل وأوامره خير وحسن وجمال. إن الرؤية الإسلامية لمعالجة الكوارث والأوبئة من منظور عقدي تقوم على مبدأ ابتلاء العليم الخبير للبشر بالسراء والضراء، والتمسك بما أمر به وأرشد إليه من اتخاذ الأسباب والتضامن والتعاون على الخير والبر والتقوى والنفع العام. أُمِر بها الأنبياء والمرسلون، كما أُمِر به رسولنا ﷺ، والله تعالى الذي أمر بالتوكل عليه هو الذي أقام الكون على قانون الأخذ بالأسباب والمسببات، فمن يتوكل على الله ولا يأخذ بالأسباب شخص متمرّد على هذا القانون الإلهي العظيم، والرسول صلى الله عليه وسلم وهو سيد المتوكلين كان يتداوى ويأمر الناس بالتداوي؛ والحديث النبوي الصحيح: " لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله" أصل عظيم في الجمع بين الأخذ بالأسباب والتوكل على خالق الداء والدواء، التوكل قيمة كبرى في حياة المؤمنين، تتوجه به قلوبهم إلى خالقهم في مختلف الظروف والأحوال، يستمدون منه العون والتوفيق لزوال الغمة وانكشاف الكربة، يأخذون بالأسباب التي تعينهم على ذلك. ومن حكم الابتلاءات التي أخبر الله بها أن يرجع الناس إلى الله، ويتخلصوا من أي قيم سلبية تبعدهم عن قيم الخير، ومن قيم التوكل التي لا يستغني عنها المؤمن في كل شيء وخاصة في الأزمات ومنها أزمة «كورونا» حسن الظن بالله، فمهما اشتد الأمر وتراكم الكرب فإن مع العسر يسرا، ومن قيم التوكل التي دعا إليها الدين الإسلامي الحنيف وأكدها غاية التأكيد الالتزام بالتدابير الوقائية للاحتراز من الوباء وحماية المجتمع منه، وكذلك من الأخذ بالأسباب الاجتهاد في البحث العلمي للتوصل إلى علاج لهذا الوباء. فما أنزل الله من داء إلا وأنزل معه الدواء، وقد أخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم أن أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس. وفي هذا الصدد ينبغي لزوم التقيد والالتزام بما تتخذه حكومة المملكة العربية السعودية انطلاقاً من مسؤوليتها السيادية والشرعية في رعاية المواطنين والمقيمين وبالأخص الحجاج والمعتمرين والزوار حفاظاً على صحة الجميع وسلامتهم. وهذه الإجراءات المتخذة هي من مقتضى مقاصد الشريعة التي جاءت لحفظ النفس البشرية ومقتضى القواعد الفقهية التي دعت إلى تقديم درء المفساد على جلب المصالح وإلى تحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام. إن الإجراءات الاحترازية وما يترتب عليها من عودة تدريجية للحياة العامة يجب الأخذ بها، خصوصاً إذا أمر بها الحاكم يرتقي حكمها إلى الوجوب، لأنها من الأحكام الشرعية لحفظ النفس وهي أحكام ملزمة وليست مجرد نصح أو توجيه، ومن قيم التوكل على الله أنه مفتاح للسمو الإيماني والرقى الأخلاقي، فلا يزال الإنسان بالتوكل يقوي عزيمته ويستمد من الله العون على الارتقاء بنفسه إيماناً وأخلاقاً، التي تتطلب من الجميع الصبر والتحمل وسعة الصدر والتعاون وحسن الأخلاق. ومن قيم التوكل تخلق المسلمين بخلق السمع والطاعة مع ولائهم والتعاون مع مجتمعاتهم، وتجسيد أخلاق الإسلام وقيمه في أوقات الأزمات والشدائد. إن آثار الوباء الجديد وما فرضه من حجر في البيوت كثرة النزاعات الأسرية وارتفاع نسب العنف الأسري والطلاق، مما يحتم على أهل العلوم الشرعية والإنسانية والتربوية بذل المزيد من الجهود في التوعية والتثقيف لبث روح الطمأنينة والوئام في الأسرة حتى تغدو كما يجب أن تكون سكناً نفسياً وسكينة تعمّر القلوب ومحبة تبهج النفوس. ومن الواجب – عباد الله – الإشادة بتضحيات الطواقم الطبية وتفانيها في إنقاذ الأرواح وعلاج المرضى، والعناية بهم وبجهود كل العاملين في مواجهة الأزمة أفراداً ومؤسسات في مكافحة هذه الآفة مذكّرين بعضم الأجر والثواب الموعود به كل من أحيا نفساً وحافظ عليها. الحمد لله وكفى وسمع الله لمن دعا وبعد، بقلوب ملؤها الرجاء، فما أحوج البشرية جمعاء إلى أن يجددوا علاقتهم بربهم ويتوجهوا إليه بالدعاء مبتهلين مخلصين، وأن يجعلوا طاعة ربهم والتمسك بالسنة النبوية وقيمها العليا نبزاً مستداماً لهم في حياتهم، وأن يرفع البلاء والوباء عن بلادنا وعن الحرمين الشريفين وسائر بلاد المسلمين وعن البشرية أجمعين والحمد لله رب العالمين.